

نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ



الكتاب : نفر من الجن
المؤلف : أيمن العتوم
تصميم الغلاف : أحمد الصباغ
رقم الإيداع : 2018/14370
I.S.B.N : 978-977-6541-72-6

مدير النشر: علي حمدي

المدير العام: محمد شوقي

مدير التوزيع: عمر عباس
01150636428

للمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع الحقوق محفوظة ©

عصير الكتب للنشر والتوزيع

أيمن العتوم

نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ

رواية



للنشر و التوزيع

الإهداء:

إلى محمد بن عبد الله ..

الرسول الخاتم ؛

والمبشر بالنهايات الكبرى ؛

والمخلص الأعظم ؛

حين انصرفت عنك قلوب الإنس صرف الله إليك قلوب
الجن حتى وددت لو أن لي قلب جنّي ؛ لأحظى بفرصة
الاستماع إلى الحروف الساحرة يتلوها فمك المطهر .

أمين ..

القِسْمِ الْأَوَّلِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا
أَحَدًا﴾ .

سورة الجن (١ - ٢)

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ﴾ .

سورة الواقعة (٤٩ - ٥٠)

«إِنَّ الْإِبِلَ خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، وَإِنَّ وراءَ كُلِّ بَعِيرٍ
شَيْطَانًا»

صحيح الجامع ٥٢ / ٢

(١)

في هدوء الليل وامتداد الصحراء

«ليس هو»!! جاء هاتفٌ من السماء . هيئته تغيّرتُ ؛ الوجهُ لم يعدِ الوجه ، والعينان لم تعدِ العينين . وهذا الذي كانه لم يعده ، قد تكون شعلته أضاءتُ قبل أن تنطفئ ؛ ربّما . قد يكون الله ألقى على كرسيّه جسداً ؛ ربّما . قد تكون سحابةٌ عابرةٌ سقطتُ قطرةً قبل أن ييبس ؛ ربما . الروح له؟! مُمكن . أمّا الجسد؟! فبال تأكيد : لا!!

لم يدرك من الوقتِ كان قد مرّ عليه هنا وهو يُصارع الموت بما تبقى في أمله من روح . فتح عينيه بصعوبة ، كان الرّمْل قد غطّى جفنيه ، نفص رأسه ليتخلّص ممّا تراكم فوقهما ، فأحسّ بألم شديد كاد يُفقد عينيه نورهما فتغرقان في الظلام من جديد . تماثل للصّحو . ورويداً ورويداً انكشفتُ له الحُجُب المُضبّبة ، فبدتُ بعضُ النّجوم الكسلى تلوح في الأفق ، تحسّس رأسه فغاصت يده في لزوجة لم يعهدها ، مدّ يده ورفعها أمام ناظره المتعبين ، فلم يتبين في الظلام شيئاً ، بدت النّجوم من جديد تتسلّل من بين فروع أصابعه ، قرّب باطن كفّه إلى أنفه ، فشمّ رائحة الدّماء ، أراد أن يتأكّد ؛ لعقها ، فأحسّ بالسكّر يتغلغل فيما لم يتختر منه بعد ، طاب له الطّعم فراح يلحق يده بنهمٍ شديد ، تحسّس الرّمْل فغاصت يده فيه ، حاولَ معه اللعبة ذاتها ،

شمه هذه المرة بخبرة قصاص أثر عاش في مهنته أكثر من ربع قرن ،
عاود الكرّة ليتأكد ؛ هتف في داخله : هذا رمل (الدّهماء)!! صحا عقله
دفعه واحدة ، صرخ دون صوت : غير معقول ، من المستحيل أن يكون
هو . حاول أن يتذكر ما حدث له ، لكن الألم الذي استيقظ في مؤخرة
رأسه منعه من ذلك . جرب مرّات عديدة : أرسل نظرة بعيدة في الليل
البهيم فازداد الليل بؤمة ، تلفت حوله يستطلع ارتفاع الكُثبان وعمقها
فراحت تتلاعب ؛ تغور وتنبسط فازداد ذهولاً ، جمع النجوم في السماء
لعلها تقول شيئاً أو تُشير إلى اتجاه ما فظلت صامتة ، مبعثرة في قبة
السماء كاملة . . . !!

مدّ جذعه لينهض ، فغاصت ركبته في الرمال ، شدّ عليها فتلوّى
من الألم ، صرخ صرخة حادة لكنّها ضاعت في هدوء الليل وامتداد
الصحراء . نادى على الذين يعرفهم فلم يُجبه غير الصمت الذبيح ؛
حتى الريح تخلّت عن حركتها فلم تُسمع لها نامة . تمنّى للحظة لو أنّه
لم يستيقظ ؛ هتف في نفسه : نستيقظ من الموت لنواجه فظائع الحياة!!
زحف بضعة أمتار وهو يجرّ رجليه خلفه ، كان الألم لا يُحتمل ؛
لكنّه لم يكن يملك خياراً ، كافح من أجل أن يقطع التلّة الرملية حبواً ،
نجح بعد اجترار آلام لا تُوصف ، ظلّ بطنه ملاصقاً للتّراب حتى إذا
وصل أعلى التلّة عنّ بباله أن يقف على قدميه ليكافئ نفسه بالوصول
إلى القمة ، لكنّ رجليه خانتاه من جديد ، تشوّف برأسه ، مدّ عنقه بما
يستطيع وأرسله نظره في البعيد ، شهق شهقةً كاد يذهب بعدها في
غيبوبة . لم يحتمل الفرحة . صرخ . تردّد صدى الصرخة في المدى .
لكنّ أحداً لم يُجبه . صرخ من جديد . فعاد الصدى كما تخيله يتسع
في دوائر تصعد باتجاه القبة الكُحليّة . نكس رأسه خائباً . التقط

أنفاسه اللاهثة . مدّ عنقه من جديد . ضيق عينيه . هتف في نفسه :
إذا كان حلمًا فليأخذني الله . وإذا كان حقيقةً فليهدني . نهض
بجذعه ليستوي جالسًا في الأعلى ، ملاً كفّه من الرّمْل ، شمّه أخرى .
وراح ينثره على رأسه . تخلّل ثيابه . ملاً عينيه . وسقط في بئر الغيبوية
من جديد .

(٢)
العفارييتُ تعيشُ عمراً أطول

- هل ما زال حياً؟!
- أشكّ في ذلك . يبدو أنّه فارقَ الحياةَ منذُ يومين .
- كيفَ وصلَ إلى هنا .
- الله وحده يعلم ذلك!!
- ليس بمقدور البشر أن يسيروا مسافة يومين دون بعيرٍ وماء .
- مسكين . . . !!
- إذا كان قد مات قبل يومين كما تقول ، فلماذا لم يتعفّن؟!
- الله وحده يعلم ذلك!!

لم يستطع أن يقول حرفاً واحداً . كانت آثار الحروق التي تركتها الشمسُ على وجهه مؤلمةً إلى الحدِّ الذي لم يتمكن فيه من الكلام . تراءى له النَّاسُ الواقفون فوق رأسه كأشباح . كانوا ثلاثة ؛ أحدهم كان يضع عمامة فوق رأسه ، والثاني بدا طويلاً أسود البشرة ، والثالث كان قصيراً يقف في مواجهة الشمس فيحجب بعضها ، واضطره بعضها الآخر إلى اتقائه بنصف إغماضة . أراد أن يُشير إلى فمه ؛ لم ينجح . كلُّ شيءٍ في جسمه كان قد تعطلَّ باستثناء غَبَشِ النُّورِ في عينيه ،

وصدى الأصوات تتردد في حجرات أذنيه . دنا أحدهم منه ، نظر في إحدى عينيه مباشرة ، رأى هالةً سوداء تُحيطُ بها فزَمَ شفّتيه ، أمال رأسه باتجاه الأخرى ونظر فيها ثم هزّ رأسه بأسف : «أظنّ أنّه ميّت» . رفع القربةَ إلى فمه يشرب منها فاهتاج جسده توقاً إلى الماء ، هل يفعلها هذا الرّجل ذو البشرة السّوداء الذي يُحدّق في عينيه فيقطر في فمه بعض هذه القطرات فتعيدُ إليه الحياة؟! كيفَ وهو يُوقن أنّه أمام جثّة!! دنا منه الرّجل أكثر ، وضع القربة جانباً ، أحسّ أنّ الحياة كانت متّجهةً إليه ثمّ انعطفتُ جانباً . مدّ الغريب يده إلى الجفن الأيمن ورفعته عاليًا ثمّ تركه ، عاد إلى الجفن الأيسر وفعل الشّيء ذاته ، التفت إلى صاحبيه الواقفين خلفه ، وقال بثقة :

- قلتُ لكم لا فائدة .

- ماذا نفعل؟!!

- كرامة الميّت في دفنه .

شبّ الرّعب في خلاياه ، انتفضتُ روحه وبقي جسده على حاله لا يُحرّك ساكنًا .

- لنرفعه على ظهر الجمّل ، وندفنه بعيداً عن الطّريق . (قال أحدهم) .

ذهب ليُحضِر الجمّل . قرّبه .

- صار جاهزاً . ارفعا معي .

رفعا على الجمّل ، وساروا به .

- هنا . في ظلّ هذه الشّجرة .

- في ظلّ هذه الشّجرة؟!!

- نعم . الأرواح تحتاج إلى ظلال .

تبعهما رفيقهما الثالث ومن بعيد طلب منهما أن يتوقفا .
فتحرّكت الحياة الهامدة فيه من جديد ، قال بصوتٍ مرتفعٍ وغاضبٍ
كأنما انتبه لشيء ما :

- ولكن ، إذا كان لم يتعفن جسمه ، وأنت تقول مات قبل
يومين ، ألا يمكن أن يكون قد سكنته أرواح العفاريت؟!

دبّ الهلع في أوصال الآخرين :

- وما عسانا نفعل إذا؟!

- نسير به إلى المضارب ، ونعرضه على أهل العلم .

- وماذا سيفعلون بجثة؟!

- جثة؟! ومن أدرانا أنه بشري!!

- سنتحوّل إلى أضحوكة إذا رأنا القوم ونحن نُقدّم عليهم بهذه

الجيفة . الأفضل أن ندفنه هنا كأنّ شيئاً لم يحدث . نحن أيضاً كدنا
نُصبح مثلها لولا . . .

- وإذا كان عفريتاً؟! (قاطعته ذو العمامة)

- سينقذ نفسه ؛ العفاريت تعيش عمراً أطول .

- تقصد ؛ لا تموت!!

تابع الغرباء الثلاثة سيرهم ، مشى أكبرهم أمام الجمل الذي
تقوّس فوقه جسد الرّابع . وركب الآخران . كانت الشمس تختبئ
تدرجياً خلف التلال البعيدة . على امتداد الرّمال الحمراء بدت اللوحة
أكثر بساطةً وجمالاً . سلب المنظر الذي رأوه مئات المرات عقولهم
كأنهم يرونه لأول مرة . «المعالم تتغيّر مهما اعتدنا عليها» (هتف ذو
البشرة السوداء) . حدا الماشي بصوتٍ شجيٍّ من تحت رقبة الجمل الذي
يقوده فاهتزّ الجمل بن فوقه . سقطت الشمس في الأفق ، وهبط الليل

بسرعة . توقّف الرّكبُ فجأةً كأنّ الصّحراء قد ابتلعتُ خطاهم . رغت الجمال بصوتٍ أجشٍّ . حثّها الثلاثةُ فما ترحزحتُ شبراً واحداً . أدار بعضهم النّظرَ في وجوه بعض . طفحتُ وجوههم بالاستغراب . «ستحدثُ الطّامةُ من جديدٍ» (قال ذو القامة القصيرة) . تجمّدتُ أنفاسهم للحظة ، ثمّ ابتلعوا هواء الصّحراء دُفعةً واحدةً ، تراءت لهم على غَبَشِ الظّلامِ نعمةٌ هائلةٌ الحجم يركبها رجلٌ ولّى ظهره لهم فبدا عارياً ، كانت رجلاه تتذبذبان على ظهر النّعمة فتقفز قفزات بعيدة . ارتجفت أوصالهم . شدّوا خُطم الإبل كأنهم واثقون من أنّها ستتابع السّير . ولكنّها رغت من جديد بصوتٍ أعلى ولم تبرح أمكنتها . حدا ذو الصّوت الشّجيّ أملاً أن تستجيب لغنائه ؛ لكن شيئاً لم يتغيّر ، وحدها النّاقة التي تحمل الجسد الرّابع اضطربت اضطراباً عنيفةً به فسقط . صمت الحداء وهُرع إلى الجسد . كانت السّقطة عنيفة . وذو النّعمة قد غاب عن مدى الرّؤية في مجاهل الصّحراء . سكن كلّ شيءٍ حول الرّكب . تناثرت بقيّة الرّوح في جسد الرّابع . سقوطه على صُدغه حرّر فمه ، نذت منه آهةٌ مسموعة . «إنّه عفريت . . . إنّه عفريت» (صرخ ذو العمامة) كانت هذه الآهةُ في الليل المُرتجف سبباً كافياً ليولّي الثلاثة الأدبار على جمالهم تاركين الجسد مُسجىً في البرزخ . مرّت هنيهةً بطيئةً من زمن ما ، عاد ذو النّعمة في طرفة عين . أردف الجسد خلفه وغاب في الظّلام من جديد!!

(٣)

الْكَلْبُ لَا يُنْجِبُ إِلَّا كَلْبًا

ركضَ وراء الصَّبِيَّةِ حَافِيًا ، يكاد جسده النَّحِيلُ يَغُوصُ فِي ثُوبِهِ
الْأَبْيَضِ الْمُمَرَّقِ الَّذِي اسْتَحُوذَ عَلَيْهِ السَّوَادُ فَحَالَ لَوْنُهُ ، وَحِينَ اكْتَمَلَ
عُدْدَهُمْ اثْنِي عَشَرَ صَبِيًّا فِي السَّاحَةِ الصَّغِيرَةِ ، ظَلَّ نَظْرُهُ مُثَبَّتًا عَلَى
قِطْعَةِ الْحَلْوَى الَّتِي يَسِيلُ مِنْ أَطْرَافِهَا الْعَسَلُ فِي يَدِ ابْنِ الشَّيْخِ ، كَانَتْ
أَضْلَاعُهُ قَدْ اخْتَلَجَتْ فِي صَدْرِهِ ؛ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا ، كَانَتْ
آخِرَ مَرَّةٍ حِينَ نَادَتْهُ (أُمُّ سَلِيمٍ) ، أَطَلَّتْ مِنْ بَيْتِهَا الطَّيْنِيَّ وَأَشَارَتْ لَهُ
بِيَدِهَا مِنْ بَعِيدٍ ، عَرَفَ أَنَّهَا تَعْنِيهِ ، تَبِعَهَا إِلَى الدَّخْلِ ، كَانَتْ قَدْ
غَمَسَتْ بَعْضَ الْخُبْزِ الْيَابِسِ فِي إِنْءَاءٍ صَغِيرٍ مِنَ الْفَخَّارِ حَتَّى صَارَ طَرِيًّا ،
لَمْ يَكُنْ الْخُبْزُ كَافِيًّا لِيَمْلَأَ الْوَعَاءَ حَتَّى وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا ، صَفَّتَهُ مِنَ الْمَاءِ ،
وَاسْتَبَقَتْ الْخُبْزَ الْمُبَلَّلَ ، وَقَدَّمَتْهُ لـ (رَضِيَ) كَمَا كَانَتْ تَنَادِيهِ . مَدَّ يَدَهُ
الْمُرْتَجِفَةَ وَهُوَ لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ عَيْنِيهِ ، أَضَاءَتْ صَفْحَةٌ وَجْهَهُ . لَمَعَتْ
عَيْنَاهُ . فَعَرَفَاهُ فَتَشَقَّقَتْ زَوَايَا شِدْقِيهِ لَطُولِ عَهْدِهِمَا بِالْمَاءِ . أَطْبَقَهُمَا
ثَانِيَةً . ذَبَلَتْ عَيْنَاهُ ، وَارْتَحَتْ يَدَاهُ . قَرَّبَتْ (أُمَّ سَلِيمٍ) الْإِنْءَاءَ مِنْهُ ،
أَطَالَتْ النَّظْرَ نَحْوَهُ بَحْنَوًّا ، كَانَتْ دَمْعَةٌ تَحَاوِلُ عَيْثًا أَنْ تَحْتَفِظَ بِتَرْقُوقِهَا فِي
الْجَفْنَيْنِ لَكِنَّهَا سَقَطَتْ عَلَى الْخَدِّ حَارَّةً . اطمأنَّ الْوَلَدُ . مَالَ بِجُذْعِهِ إِلَى
الْأَمَامِ وَغَاصَ وَجْهَهُ النَّحِيلُ فِي الْإِنْءَاءِ وَرَاحَ يَأْكُلُ مِنْهُ كَقِطْعَةِ الْيُفَيْفَةِ ،

بعد أن أتى على ما فيه ، رفعه إلى شذقيه وشرب ما تبقى فيه من ماء ، ومدّه بكلتا يديه إلى (أمّ سليم) وعينه تنطقان بكل شيء .

وقفوا في صفٍّ واحدٍ يفصل بين صبيٍّ وآخر مسافةً جريدةً من النخل ، أمّ ابن الشيخ ازدرد ما تبقى بين يديه من (الزّاقية) ، ومصّ أصابعه من أثر العسل ، وأخذ مكانه في منتصف الصفّ ، في حين وقف (سرحان) على أوله ووجهه إلى الصّبيان ، رفع بيده اليمنى عصاً صغيرةً يابسةً ، وباليُسرى رقعةً مدبوغةً من جلد الماعز تُبَتَّت على تجويف جذع مقطوع ، وصفق ما في اليمنى باليُسرى إشارةً للبدء .

تراكض الصّبيّة وهم يتصايحون ، كانوا عفاريت تقفز بسيقان نحيلة بانّت من تحت جلايبهم وهم يُهرعون إلى (الغيضة) ليلتفوا حولها ويعودون إلى نقطة البدء . ثار الغبار ، وعلت الأصوات . كان (سرحان) حريصاً على أن يراقب المتسابقين ويُطبّق شروط اللعبة : الالتفاف حول (الغيضة) من جهة الشرق ، والانحناء لأخذ عُشبة من الأرض أسفلها . فعلوا ذلك جميعاً باستثناء ابن الشيخ الذي لم يكمل دورته حول (الغيضة) ، وعاد فارغ اليدين . حين وصلوا إلى (سرحان) كان الأخير يمدّ يده بموازة كتفه ليلمسها الفائز ؛ ولسوء الحظّ كان (رضى) أوّل الواصلين إلى يده الممدودة ، احتفل بالفوز على عادته ؛ تمايل بجذعه يمنةً ويسرةً ، ووضع إبهام يده اليمنى على رأسه وانحنى إلى الأمام قليلاً بعد أن ألقى يسراه على ظهره وراح يدور حول نفسه وهو يصبح مُغْتَبِطاً ؛ لم يكد يكمل دورةً واحدةً حتّى هوى ابن الشيخ بجمع يده على وجهه فترنّح . لم يمهل كثيراً ؛ عاجله ابن الشيخ بضربة ثانية فسقط على الأرض والدّم يسيل من زاوية فمه ، تعفّر وجهه بالتراب . انقطع صياح الأولاد فجأةً . وقفوا يُشاهدون وهم مرعوبون . ركضت (أم

سليم) باتجاههم وهي تولول ، هرب ابن الشيخ ، التقطت المسكين من الأرض وهُرعت به إلى الدار .

مسحت الدّم عن وجهه ، ثمّ في وعاء معدنيّ مُفلطح سكب الماء حتّى امتلأ نصفه ، أجلستهُ في حجرها وراحت تغسل وجهه وهي تبكي تارة ، وتلعن ابن الشيخ تارة أخرى : «الكلب لا يُنجب إلاّ كلبًا مثله»!! أمّا هو فراحت شفّته تبرطمان والماء ينسكب فوقهما . تابعتُ وهي تُرغي من جديد : «لو كانت أمّك حيّة لوجدت منّ يحنو عليك ؛ حرام والله حرام . وقع الحمل وكَثُر ذبّاحوه» . أوقفتهُ مرّةً أخرى على قدميه في الوعاء وخلعتُ ثوبه الممزّق ورمته بعيدًا ، ثمّ راحتُ تسكب الماء على جسده من جديد . ارتجف الولد كجناح دُبابة ، وراحتُ أسنانه تصطك . شبّك بين يديه ورفعهما إلى صدره التماسًا للدفء ، فخانه . فاستمرّ في الارتجاف . قرفصَ فصار مثل كرة ، دفن رأسه بين ساقيه ليهدئ رَجفانه المتتابع فلم يُفلح . أتمتُ سكب الكوز الأخير على أضلاعه التي بانّت من تحت جلده الرقيق ، حملتِ الكرة وضمتّها إلى صدرها ، ثمّ أجلستهُ في حِضنها ، وبثوبها الأسود راحتُ تُجفّف جسده ، وتهدئ من روعه . أدخلته إلى البُسط وغطّته بأحدها . تناولت ثوبه . ألقتّه في الماء نفسه وراحتُ - جاهدةً - تُزيل آثار الدّم والغُبار والأوساخ عنه . نشرتهُ أمام البيت ، وعادت لتتفقّد (رضى) . انتظامُ أنفاسه دلّها على أنّه غرق في نوم عميق قبل أن تكشف عنه البساط الذي احتجب تحته . هزّت رأسها بأسى ، بكت هذه المرّة بصوتٍ مسموع ، ولعنت الشيخ وابنه : « لو كان أبوك بيننا لما جرؤ أحدٌ أن يقترب منك . ولو كان هنا لمرّغت أنف ابن الشيخ الكاذب في التراب» .